

سورة التحريم

هي اثنا عشرة آية وهي مدنية. قال القرطبي: في قول الجميع، وتسمى سورة النبي. وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت سورة التحريم بالمدينة، ولفظ ابن مردويه سورة المحرم. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: أنزلت بالمدينة سورة النساء "يا أيها النبي لم تحرم" قوله: 1- "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" اختلف في سبب نزول الآية على أقوال: الأول قول أكثر المفسرين. قال الواحدي: قال المفسرون: كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فزارت أباه، فلما رجعت أبصرت مارية في بيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها: لا تخبري عائشة ولك علي أن لا أقربها أبداً، فأخبرت حفصة عائشة وكانت متصافيتين، فغضبت عائشة ومل تزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقرب مارية، فأنزل الله هذه السورة. قال القرطبي: أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في حفصة، وذكر القصة. وقيل السبب أنه كان صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة أن تقولاً له إذا دخل عليهما إنا نجد منك ريح مغافير. وقيل السبب المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. وسيأتي دليل هذه الأقوال آخر البحث إن شاء الله وستعرف كيفية الجمع بينها، وجملة "تبتغي مرضاة أزواجك" مستأنفة، أو مفسرة لقوله تحرم، أو في محل نصب على الحال من فاعل تحرم: أي مبتغياً به مرضاة أزواجك، ومرضاة اسم مصدر، وهو الرضى وأصله مرضوة، وهو مضاف إلى المفعول: أي أن ترضي أزواجك، أو إلى الفاعل: أي أن يرضين هن "والله غفور رحيم" أي بليغ المغفرة والرحمة لما فرط منك من تحريم ما أحل الله لك، قيل وكان ذلك ذنباً من الصغائر، فلذا عاتبه الله عليه، وقيل إنها معاتبه على ترك الأولى.

2- "قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم" أي شرع لكم تحليل إيمانكم وبين لكم ذلك، وتحلة أصلها تحللة، فأدغمت. وهي من مصادر التفعيل كالتوصية والتسمية، فكان اليمين عقد، والكفارة حل، لأنها تحل للحالف ما حرمه على نفسه. قال مقاتل: المعنى قد بين الله كفارة إيمانكم في سورة المائدة. أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكفر يمينه ويراجع وليدته فأعتق رقبة. قال الزجاج: وليس لأحد أن يحرم ما أحل الله. قلت: وهذا هو الحق أن تحريم ما أحل الله لا ينعقد ولا يلزم صاحبه. فالتحليل والتحريم هو إلى الله سبحانه لا إلى غيره، ومعاتبته لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه

سورة التحريم

السورة أبلغ دليل ذلك، والبحث طويل والمذاهب فيه كثيرة والمقالات فيه طويلة، وقد حققناه في مؤلفاتنا بما يشفي. واختلف العلماء هل مجرد التحريم يمين بوجوب الكفارة أم لا؟ وفي ذلك خلاف، وليس في الآية ما يدل على أنه يمين، لأن الله سبحانه عاتبه على تحريم ما أحله له، ثم قال: "قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم" وقد ورد في القصة التي ذهب أكثر المفسرين إلى أنها هي سبب نزول الآية أنه حرم أولاً ثم حلف ثانياً كما قدمنا "والله مولاكم" أي وليكم وناصركم والمتولي لأموركم "وهو العليم" بما فيه صلاحكم وفلاحكم "الحكيم" في أفعاله وأقواله.

3- "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً" قال أكثر المفسرين: هي حفصة كما سبق، والحديث هو تحريم مارية، أو العسل، أو تحريم التي وهبت نفسها له، والعامل في الطرف فعل مقدر: أي واذكر إذا أسر. وقال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خيلفتي على أمتي من بعدي "فلما نبأت به" أي أخبرت به غيرها "وأظهره الله عليه" أي أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الإخبار لغيرها "عرف بعضه" أي عرف حفصة بعض ما أخبرت به، قرأ الجمهور "عرف" مشدداً من التعريف، وقرأ علي وطلحة بن مصرف وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكسائي بالتخفيف، واختار أبو عبيد وأبو حاتم القراءة الأولى لقوله: "وأعرض عن بعض" أي لم يعرفها إياه، ولو كان مخففاً لقال في صده: وأنكر بعضاً "وأعرض عن بعض" أي وأعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة أن ينتشر في الناس، وقيل الذي أعرض عنه هو حديث مارية. وللمفسرين هاهنا خبط وخلط، وكل جماعة منهم ذهبوا إلى تفسير التعريف والإعراض بما يطابق بعض ما ورد في سبب النزول، وسنوضح لك ذلك إن شاء الله "فلما نبأها به" أي أخبرها بما أفشت من الحديث "قالت من أنبأك هذا" أي من أخبرك به "قال نبأني العليم الخبير" أي أخبرني الذي لا تخفى عليه خافية.

4- "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما" الخطاب لعائشة وحفصة: أي إن تتوبا إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، ومعنى "صغت" عدلت ومالت عن الحق، وهو أنها أحبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو إفشاء الحديث. وقيل المعنى: إن تتوبا إلى الله فقد مالت قلوبكما إلى التوبة، وقال قلوبكما ولم يقل قلوبكما لأن العرب تستكره الجمع بين تثنيتين في لفظ واحد "وإن تظاهرا عليه" أي تظاهرا، قرأ الجمهور تظاهرا بحذف إحدى التاءين تخفيفاً. وقرأ عكرمة تظاهرا على الأصل. وقرأ الحسن وأبو رجاء ونافع وعاصم في رواية عنهما

سورة التحريم

تظهرها بتشديد الظاء والهاء بدون ألف، والمراد بالتظاهر التعاضد والتعاون، والمعنى: وإن تعاضدا وتعاوننا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره "فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين" أي فإن الله يتولى نصره، وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين فلن يعدم ناصرأ ينصره "والملائكة بعد ذلك" أي بعد نصر الله له ونصر جبريل وصالح المؤمنين "ظهير" أي أعوان يظاهرونه، والملائكة مبتدأ وخبره ظهير. قال أبو علي الفارسي: قد جاء فعيل للكثرة كقوله: "ولا يسأل حميم حميماً" قال الواحدي: وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع كقوله: "وحسن أولئك رفيقاً" وقد تقرر في علم النحو أن مثل جريح وصبور وظهير يوصف به الواحد والمثنى والجمع. وقيل كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة.

5- "عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن" أي يعطيه بديلكن أزواجاً أفضل منكن، وقد علم الله سبحانه أنه لا يطلقهن، ولكن أخبر عن قدرته على أنه إن وقع منه الطلاق أبدله خيراً منهن تخويفاً لهن، وهو كقوله: "وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم" فإنه إخبار عن القدرة وتخويف لهم. ثم نعت سبحانه الأزواج بقوله: "مسلمات مؤمنات" أي قائمات بفرائض الإسلام مصدقات بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره. وقال سعيد بن جبير: مسلمات أي مخلصات وقيل معناها: مسلمات لأمر الله ورسوله "قانتات" مطيعات لله. والقنوات الطاعة، وقيل مصليات: "تائبات" يعني من الذنوب "عابدات" لله متذلات له. قال الحسن وسعيد بن جبير: كثيرات العبادة "سائحات" أي صائمات. وقال زيد بن أسلم: مهاجرات، وليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة إلا الهجرة. قال ابن قتيبة والفراء وغيرهما: وسمى الصيام سياحة لأن السائح لا زاد معه. وقيل المعنى: ذاهبات في طاعة الله، من ساح الماء إذا ذهب، وأصل السياحة الجولان في الأرض، وقد مضى الكلام على السياحة في سورة براءة "ثيبات وأبكاراً" وسط بينهما العاطف لتنافيهما، والثيبات: جمع ثيب، وهي المرأة التي قد تزوجت ثم ثابت عن زوجها فعادت كما كانت غير ذات زوج. والأبكار جمع بكر، وهي العذراء، سميت بذلك لأنها على أول حالها التي خلقت عليه. وقد أخرج البخاري وغيره عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها لبناً أو عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة إن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل إني أجد منك ريح مغاير، فدخل على إحدهما فقالت ذلك له، فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت

سورة التحريم

حشش ولن أعود، فنزلت: "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" إلى قوله: "إن تتوبا إلى الله" لعائشة وحفصة "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً" لقوله: بل شربت عسلاً. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند صحيح عن ابن عباس قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فدخل على حفصة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه أبداً، فأنزل الله "يا أيها النبي لم تحرم" الآية". وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية "يا أيها النبي لم تحرم" قالت: كانت عندي عكة من عسل أبيض، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلعب منها وكان يحبه، فقالت له عائشة: نحلها تجرس عرفطاً فحرمها، فنزلت الآية. وأخرج النسائي والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها، فلم تزل عائشة وحفصة حتى جعلها علي نفسه حراماً، فأنزل الله هذه الآية "يا أيها النبي لم تحرم" وأخرج البزار الطبراني قال السيوطي: بسند صحيح عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال: عائشة وحفصة، وكان بدو الحديث في شأن مارية القبطية أم إبراهيم أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها، فوجدت حفصة فقالت: يا رسول الله لقد جئت إلي بشيء ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري على فراشي، قال ألا ترصين أن أحرمها فلا أقربها أبداً؟ قالت: بلى، فحرمها وقال: لا تذكرني ذلك لأحد، فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه، فأنزل الله "يا أيها النبي لم تحرم" الآيات كلها، فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب مارية. وأخرجه ابن سعد وابن مردويه عنه بأطول من هذا. وأخرجه ابن مردويه أيضاً من وجه آخر عنه بأخصر منه، وأخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه عنه مختصراً بلفظ قال: حرم سريره وجعل ذلك سبب النزول في جميع ما روي عنه من هذه الطرق، وأخرج الهيثم بن كليب في مسنده والضياء المقدسي في المختارة من طريق نافع عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تحدثي أحداً، وإن أم إبراهيم علي حرام، فقالت: أتحرم ما أحل الله لك؟ قال: فوالله لا أقربها، فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله "قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم" وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن أبي هريرة أن سبب نزول الآية تحريم مارية كما سلف، وسنده ضعيف. فهذان سببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع

سورة التحريم

القصتين: قصة العسل، وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً، وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه، وأما ما قيل من أن السبب هو تحريم المرأة التي وهبت نفسها، فليرى في ذلك إلا ما روى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. قال السيوطي: وسنده ضعيف. ويرد هذا أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل تلك الواهبة لنفسها، فكيف يصح أن يقال إنه نزل في شأنها "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" فإن من رد ما وهب له لم يصح أن يقال إنه حرمه على نفسه، وأيضاً لا ينطبق على هذا السبب قوله "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً" إلى آخر ما حكاه الله. وأما ما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن ابن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنهما عائشة وحفصة، ثم ذكر قصة الإيلاء كما في الحديث الطويل، فليس في هذا نفي لكون السبب هو ما قدمنا من قصة العسل وقصة السرية، لأنه إنما أخبره بالمتظاهرتين، وذكر فيه أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، وأن ذلك سبب الاعتزال لا سبب نزول "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك". ويؤيد هذا ما قدمنا عن ابن عباس أنه قال لعمر من المرأتين اللتان تظاهرتا؟ فأخبره بأنهما حفصة وعائشة، وبين له أن السبب قصة مارية. هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية، ودفع الاختلاف في شأنه فاشدد عليه يدك لتنجوبه من الخبط والخلط الذي وقع للمفسرين. وأخرج عبد الرزاق والبخاري وابن مردويه عن ابن عباس قال: في الحرام يكفر، وقال "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة". وأخرج ابن المنذر والطبراني والحاكم وابن مردويه عنه أنه جاءه رجل فقال: إني جعلت امرأتي علي حراماً، فقال كذبت ليست عليك بحرام، ثم تلا "لم تحرم ما أحل الله لك" قال: عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة. وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عائشة قالت: لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، فأنزل الله "قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم" فأحل يمينه وأنفق عليه. وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن عائشة في قوله: "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً" قالت: أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي. وأخرج ابن عدي وأبو نعيم في الصحابة والعشائر في فضائل الصديق وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن علي وابن عباس قال: والله إن إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً" قال لحفصة: أبوك وأبو عائشة واليا الناس

سورة التحريم

بعدي، فأياك أن تخبري أحداً بهذا. قلت: وهذا ليس فيه أنه سبب نزول قوله: "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" بل فيه أن الحديث الذي أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هذا. فعلى فرض أن له إسناداً يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة، وهي مقدمة عليه ومرجحة بالنسبة إليه. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: "فقد صنعت قلوبكما" قال: زاعت وأثمت. وأخرج ابن المنذر عنه قال: مالت. وأخرج ابن عساكر من طريق الله بن بريدة عن أبيه في قوله: "وصالح المؤمنين" قال: أبو بكر وعمر. وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مثله. وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في فضائل الصحابة من وجه آخر عنه مثله. وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر وابن عباس مثله. وأخرج الحاكم عن أبي أمامة مرفوعاً مثله. وأخرج ابن أبي حاتم. قال السيوطي بسند ضعيف عن علي مرفوعاً قال: هو علي بن أبي طالب. وأخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "وصالح المؤمنين" علي بن أبي طالب". وأخرج ابن مردويه وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس في قوله: "وصالح المؤمنين" قال: هو علي بن أبي طالب". وأخرج الطبراني وابن مردويه عن بريدة في قوله: "ثياب وأبكاراً" قال: وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه أن يزوجه بالثيب أسية امرأة فرعون، وبالبكر مريم بنت عمران.

قوله: 6- "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم" بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه "وأهلكم" بأمرهم بطاعة الله ونهيهم عن معاصيه "ناراً وقودها الناس والحجارة" أي ناراً عظيمة تتوقد بالناس وبالحجارة كما يتوقد غيرها بالحطب، وقد تقدم بيان هذا في سورة البقرة. قال مقاتل بن سليمان: المعنى قوا أنفسكم وأهلكم بالأدب الصالح النار في الآخرة. وقال مقاتل ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهلكم بوصيتكم. قال ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب، ومن هذا قوله: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" وقوله: "وأندر عشيرتك الأقربين" "عليها ملائكة غلاظ شداد" أي على النار خزنة من الملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها غلاظ على أهل النار شداد عليهم لا يرحمونهم إذا استرحمواهم، لأن الله سبحانه خلقهم من غضبه وحب إليهم تعذيب خلقه، وقيل المراد غلاظ القلوب شداد الأبدان، وقيل غلاظ الأقوال شداد الأفعال، وقيل الغلاظ ضخام الأجسام، والشداد الأقوياء "لا يعصون الله ما أمرهم" أي لا

سورة التحريم

[يخالفونه] في أمره، وما في " ما أمرهم " يجوز أن تكون موصولة والعاقد محذوف: أي لا يعصون الله الذي أمرهم به، ويجوز أن تكون مصدرية: أي لا يعصون الله أمره على أن يكون ما أمرهم يدل اشتمال من الاسم الشريف، أو على تقدير نزع الخافض: أي لا يعصون الله في أمره " ويفعلون ما يؤمرون " أي يؤدونه في وقته من غير تأرخ لا يؤخروه عنه ولا يقدمونه.

7- " يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم " أي يقال لهم هذا القول عند إدخالهم النار [تأيساً] لهم وقطعاً لأطماعهم " إنما تجزون ما كنتم تعملون " من الأعمال في الدنيا ومثل هذا قوله: " فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون " .

8- " يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توباً نصوحاً " أي تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب عنه، وصفت بذلك على الإسناد المجازي، وهو في الأصل وصف للتائبين أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم بالعزم على الترك للذنب وترك المعاودة له. والتوبة فرض على الأعيان. قال قتادة: التوبة النصوح الصادقة، وقيل الخالصة. وقال الحسن: التوبة النصوح: أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره. وقال الكلبي: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والاطمئنان على أن لا يعود. وقال سعيد بن جبير: هي التوبة المقبولة. قرأ الجمهور " نصوحاً " بفتح النون على الوصف للتوبة: أي توبة بالغة في النصح، وقرأ الحسن وخارجه وأبو بكر عن عاصم بضمها: أي توبة نصح لأنفسكم، ويجوز أن يكون جمع ناصح، وأن يكون مصدرأ: يقال نصح نصيحة ونصوحاً. قال المبرد: أراد توبة ذات نصح " عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار " بسبب تلك التوبة، وعسى وإن كان أصلها للإطماع فهي من الله واجبة، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ويدخلكم معطوف على يكفر منصوب بناصبه وبالنصب قرأ الجمهور، وقرئ بالجزم عطفاً على محل عسى كأنه قال: توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم " يوم لا يخزي الله النبي " الظرف متعلق بیدخلكم: أي يدخلكم يوم لا يخزي الله النبي " والذين آمنوا معه " والموصول معطوف على النبي، وقيل الموصول مبتدأ وخبره " نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم " والأول أولى وتكون جملة " نورهم يسعى " في محل نصب على الحال أو مستأنفة لبيان حالهم، وقد تقدم في سورة الحديد أن النور يكون معهم حال مشبههم على الصراط، وجملة " يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير " في محل نصب على الحال أيضاً، وعلى الوجه الآخر تكون خبراً آخر، وهذا دعاء

سورة التحريم

المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين كما تقدم بيانه وتفصيله. وقد أخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب في قوله: "قوا أنفسكم وأهليكم ناراً" قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في الآية قال: اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا أهلكم بالذكر ينحيكم الله من النار. وأخرج عبد بن حميد عنه في الآية قال: أدبوا أهليكم. وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ما بين منكب أحدهم مسيرة مائة خريف ليس في قلوبهم رحمة إنما خلقوا للعذاب، يضرب الملك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحناً من لدن قرنه إلى قدمه. وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد وابن منيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب سئل عن التوبة النصوح، قال: أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود إليه أبداً. وأخرج أحمد وابن مردويه والبيهقي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود إليه أبداً" وفي إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف، والصحيح الموقوف كما أخرجه موقوفاً عنه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي. وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، وهو في القرآن، ثم قرأ هذه الآية. وأخرج الحاكم والبيهقي في البعث عن ابن عباس في قوله: "يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى" الآية قال: ليس أحد من الموحدين لا يعطى نوراً يوم القيامة، فأما المنافق فيطفاً نوره، والمؤمن مشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهو يقول: "ربنا أتمم لنا نورنا".

قوله: 9- "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين" أي بالسيف والحجة، وقد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة براءة "واغلظ عليهم" أي شدد عليهم في الدعوة واستعمل الخشونة في أمرهم بالشرائع. قال الحسن: أي جاهدكم بإقامة الحدود عليهم، فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود "وماوهم جهنم" أي مصيرهم إليها: يعني الكفار والمنافقين "وبئس المصير" أي المرجع الذي يرجعون إليه.

10- "ضرب الله مثلاً للذين كفروا" قد تقدم غير مرة أن المثل قد

سورة التحريم

يراد به إيراد حالة غريبة يعرف بها حالة أخرى مماثلة لها في الغرابة: أي جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة، وأنه لا يغني أحد عن أحد " امرأة نوح وامرأة لوط " هذا هو المفعول الأول، ومثلاً المفعول الثاني حسبما قدمنا تحقيقه، وإنما آخر ليتصل به ما هو تفسير له وإيضاح لمعناه "كانتا تحت عبيد من عبادنا صالحين" وهما نوح ولوط: أي كانتا في عصمة نكاحهما "فخانتاهما" أي فوقت منهما الخيانة لهما. قال عكرمة والضحاك: بالكفر وقيل كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه، وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط. وقيل كانت خيانتهم النفاق. وقيل خانتاهما بالنميمة " فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً " أي فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيئاً من النفع ولا دفعا عنهما من عذاب الله من كرامتهما على الله شيئاً من الدفع " وقيل ادخلا النار مع الداخلين " أي وقيل لهما في الآخرة، أو عند موتهما ادخلا النار مع الداخلين لها من أهل الكفر والمعاصي. وقال يحيى بن سلام: ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرتا عليه. وما أحسن من قال، فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد أتم إرشاد ويلوح أبلغ تلويح إلى أن المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين. وبيان أنهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله، فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئاً، وقد عصمهما الله عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة.

11- " وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون " الكلام في هذا كالقلام في المثل الذي قبله: أي جعل الله حال امرأة فرعون مثلاً لحال المؤمنين ترغيباً لهم في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة، وأن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين وصارت بإيمانهم بالله في جنات النعيم " إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة " الطرف متعلق بضرب أو بمثلاً: أي ابن لي بيتاً قريباً من رحمتك، أو في أعلى درجات المقربين منك، أو في مكان لا يتصرف فيه إلا بإذنك وهو الجنة " ونجني من فرعون وعمله " أي من ذاته وما يصدر عنه من أعمال الشر " ونجني من القوم الظالمين " قال الكلبي: هم أهل مصر. وقال مقاتل: هم القبط. قال الحسن وابن كيسان: نجاه الله أكرم نجاه ورفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب.

12- " ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها " معطوف على

سورة التحريم

امراة فرعون: أي وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنة عمران: أي حالها وصفتها، وقيل إن الناصب لمريم فعل مقدر: أي واذكر مريم، والمقصود من ذكرها أن الله سبحانه جمع لها بين كرامة الدنيا والآخرة واصطفاها على نساء العالمين مع كونها بين قوم كافرين "التي أحصنت فرجها" أي عن الفواحش، وقد تقدم تفسير هذا في سورة النساء. قال المفسرون: المراد بالفرج هنا الجيب لقوله: "فنفخنا فيه من روحنا" وذلك أن جبريل نفخ في جيب درعها فحبلت بعيسى "وصدقت بكلمات ربها" يعني شرائعه التي شرعها لعباده، وقيل المراد بالكلمات هنا هو قول جبريل لها "إنما أنا رسول ربك" الآية. وقال مقاتل: يعني بالكلمات عيسى. قرأ الجمهور "وصدقت" بالتحديد، وقرأ حمزة الأموي ويعقوب وقتادة وأبو مجلز وعاصم في رواية عنه بالتحفيف. وقرأ الجمهور "بكلمات" بالجمع، وقرأ الحسن ومجاهد والحدري "بكلمة" بالإفراد. وقرأ الجمهور "وكتبه" بالإفراد، وقرأ أهل البصرة وحفص كتبه بالجمع، والمراد على قراءة الجمهور الجنس فيكون في معنى الجمع، وهي الكتب المنزلة على الأنبياء "وكانت من القانتين" قال قتادة: من القوم المطيعين لربهم. وقال عطاء: من المصلين، كانت تصلي بين المغرب والعشاء، ويجوز أن يراد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت منهم، وكانوا مطيعين أهل بيت صلاح وطاعة، وقال: من القانتين ولم يقل من القانتات لتغليب الذكور على الإناث. وقد أخرج عبد الرزاق والغريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس في قوله: "فخانتاهما" قال: ما زنتا. أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتها. وأخرج ابن المنذر عنه: قال ما بغت امرأة نبي قط، وقد رواه ابن عساكر مرفوعاً. وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن سلمان قال: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة. وأخرج عبد بن حميد عن أبي هريرة: أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها على صدرها وجعل على صدرها رحي واستقبل بها عين الشمس، فرفعت رأسها إلى السماء، ف"قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة" إلى قوله: "من الظالمين" ففرج الله لها عن بيتها في الجنة فرأته. وأخرج أحمد والطبراني والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد،

سورة التحريم

ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرها في القرآن قالت "رب ابن لي عندك بيتاً"" الآية. وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". وأخرج وكيع في الغرر عن ابن عباس في قوله: "ونجني من فرعون وعمله" قال: من جماعته.